الإعجاز العلمي في ضوء السياق القرآني- دراسة نقدية

أ. جيلالي الحيرش*

سلم البحث في ١٤٣٧/٢/٤هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٣٧/٣/٣هـ

ملخص البحث:

هذا البحث هو دراسة نقدية يعتمد فيها الباحث على أداة مهمّة من أدوات التفسير، ألا وهي السياق، وهي وسيلة للكشف عن مقاصد الكلام، ووسيلة حاكمة على محاولات الكشف عن تلك المقاصد، اعتمدها قدماء المفسرين والمعاصرون منهم في بيانهم لكلام الله تعالى، خاصة إذا علمنا أنّ الكلمات والجمل القرآنية تحتمل معانٍ متعددة، ولكن لمّا تُفعَّل أداة السياق فإنه يزول الإشكال عادة ويبقى للكلام معنى محددا، وإنّه لمّا كانت مباحث الإعجاز العلمي تُعتبر محاولات تفسيرية يصيبها الخطأ تارة، كما تحظى بالصواب تارة أخرى؛ رأى الباحث بأن يخضع هذه المحاولات إلى أداة السياق من أجل تمحيص تلك الأقوال.

Abstract:

This research is the study of cash، Addresses in which the researcher to study the tool of interpretation tools ،It is the Quranic context, and is a means to a statement of the purposes of speech ،And a means for monetary attempts to detect those purposes, Adopted by the great commentators in their interpretation of the Koran, Especially if we know that words and sentences Quranic have multiple meanings، But when we use the tool context, it leads to the demise of the problem, the meaning remains clear and specific speech، and As the scientific miracles research was kind of interpretation has undergone error sometimes. As of right are other times؛ In this paper I try to use context to monetize those Explanatory views.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد: لقد كان تفسير النصوص تفسيرا علميا بإظهار جوانب الإعجاز العلمي الشغل الشاغل لبعض العلماء، ولقد صاحب هذا الأمر تباين في الوسائل والغايات، فطائفة حرصت

* قسم العلوم الإسلامية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجمهورية الجزائرية.

على الكشف عن المراد من النص في ضوء ما أتيح لها من معالم وقرائن معينة على فهمه، وطائفة أخرى أهمتها أغراضها؛ فانكبت على النصوص تفسرها بحسب ما يخدم أغراضها جاهلة أو متجاهلة القواعد والأصول والقرائن؛ فكانت الجناية على النص.

ولقد حرص أهل الاختصاص على الحيلولة دون العبث بالنصوص؛ فعمدوا إلى وضع مجموعة من القواعد التي تعين على التفسير السليم للنصوص، فتكون بمثابة الميزان الذي يعرف به التفسير المقبول من غيره.

ولقد كان السياق من أبرز هذه القواعد والقرائن، وقف المفسرون على دوره المتميز، فأنزلوه منزلته اللائقة به في الجملة، سنعرض لها ونحن نكشف عن معنى السياق، وعن منزلته ومجالاته وغاياته، في بحث يدور حول الإعجاز العلمي في ظل السياق القرآني، وسيكون هذا كله في نطاق ما يتسع له المقام من بسط وضرب للأمثلة، والنماذج، في محاولة بسطها وإخضاعها للمناقشة والنقد، مع الاستعانة ببعض كتب التفسير المعتمدة.

والسبب الذي دفعني إلى خوض غمار هذا الموضوع هو ذلك الخلط الكبير الذي أحدثه الخائضون في استخراج ظواهر الإعجاز من القرآن بعلم أو بغير علم حتى أضحى ظاهرة خطيرة تبنتها المؤلفات المتخصصة والمقالات والمواقع الإليكترونية حتى أصبحت فجوة أوتينا من قبلها من المتربصين بهذا الدين وكتابه، فكان مبتغاي من هذا العمل هو بيان أهمية إعمال قواعد التفسير عند إرادة معرفة مراد الله من كلامه، وبما أن استخراج ظواهر الإعجاز من القرآن هو نوع من التفسير فمعرفة القواعد والدراية باستعمالها هو أمر لابد منه.

وكان اعتمادي في العرض على المنهج التحليلي، كونه مناسبا لمثل هذه المواضيع.

ولقد اعتمدت في هذا خطة جاءت في مقدمة ومبحثين وخاتمة، أما المقدمة فعرضت فيها الموضوع مع إشكاليته مع ذكر الأهداف والأسباب والمنهج المتبع وخطة، أما المبحث الأول فكان نظريا عرفت فيه السياق وبينت أهميته وأقوال العلماء

فيه، أما المبحث الثاني فكان تطبيقيا؛ عرضت فيه نماذج من الإعجاز العلمي بان لي أن السياق القرآني جاء مخالفا لها فبسطتها ثم أتبعتها بالنقد مستعينا بآراء المفسرين، وقد ركزت في هذه الدراسة على السياق القرآني في شقه اللغوي فقط وهو ما يعرف بسياق المقال، ولم أعن بالشّقّ الثاني الممثل في سياق الحال؛ الذي هو من تقسيمات المحدثين للسياق، آملا أن تكون هذه الدراسة خطوة نحو تفسير سليم.

المبحث الأول
مدخل إلى دلالة السياق

أولاً: تعريف السياق:

تعريف السياف في اللغة:

أصل السِّياقِ سواق، قُلِبَت الواو ياءً لكَسرَةِ السِّينِ[1]، قال الجوهري: ساق الماشية يَسوقُها سَوْقاً وسِياقاً، فهو سائِقٌ وسَوَّاقٌ، شدّد للمبالغة. قال الراجز:

قد لَفَّها الليلُ بسَوَّاقٍ حُطَمْ ليس براعي إبِلٍ ولا غَنَمْ

واسْتاقَها فانْساقَتْ. وسُقْتُ إلى امرأتي صَداقَها. وسُقْتُ الرجلَ، أي أصبتُ ساقَهُ. والسَيِّقَةُ: ما اسْتاقَهُ العدوُّ من الدوابّ[2]، قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالاً سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وقال عز وجل: ﴿وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدًا﴾ "[مريم ٨٧].

فغالب هذه المعاني اللغوية تدور حول معنى التتابع والتلاحق الذي يخدم المعنى الاصطلاحي الذي سنبينه فيما يلي:

ب . تعريف السياق اصطلاحا:

لقد اختلفت تعريفات الدارسين لمعنى السياق؛ وذلك لاختلاف تصورهم لدلالة هذا المصطلح؛ فمنهم من اقتصر على الجانب اللغوي، وهو المعروف بسياق المقال،

ومنهم من تعداه إلى سياق الحال وما يدخل تحته من قرائن الأحوال المتعددة كحال المخاطب، وحال المخاطبين، وبما أنني اقتصرت على معنى السياق في جانبه اللغوي فإنني اخترت لذلك تعريفات للسياق اذكر من بينها:

ـ يعرفه الدكتور المثنى عبد الفتاح محمود بأنه: تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال[٣].

. تعريف آخر: هو بيان الكلمة أو الجملة القرآنية منتظمة مع ما قبلها وما بعدها[٤].

ثانيا:أهمية دلالة السياق:

إن المفردة الواحدة في اللغة العربية لها عدة دلالات، ولا يعرف المراد من هذه الدلالات إلا بقراءتها داخل التركيب الذي وردت فيه، يؤكد ذلك الكتب التي أولت اهتمامها بما يسمى بالأشباه والنظائر، ذكر أهل التفسير أن العين في القرآن على خمسة أوجه:

أحدها: العين الباصرة. ومنه قوله تعالى في الأعراف: ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ﴾"[الاعراف١٩٥]، وفي البلد: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾ [البلد٨].

الثاني: الماء، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة٦٠].

والثالث: الحفظ. ومنه قوله تعالى في القمر: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر ١٤].

والرابع: المنظر. ومنه قوله تعالى في الأنبياء: ﴿قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ [الانبياء٦١]، أي: بمنظر منهم.

والخامس: القلب. ومنه قوله تعالى في الكهف: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف١٠١].

وزاد بعضهم وجها سادسا فقال: والعين: النهر. ومنه قوله تعالى في هل أتى:

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان٦].[٥]

وكذلك لفظة (البلوغ) فهي في العربية لفظ مشترك بين مقاربة الشيء والانتهاء إليه، وقد وردت هذه اللفظة في آيتين متجاورتين من كتاب الله تعالى، وهما من قبيل المتشابه اللفظي، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٣١] فبلغن في هذا الموضع دلت على قرب انتهاء العدة فكان الخطاب للأزواج دل على ذلك السياق المتمثل في التخيير بين الإمساك والتسريح وهذا لا يكون إلا في خلال العدة، أما قوله عز وجل في الآية بعدها:" وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، فدلت كلمة (بلغن) على الانتهاء من العدة والخطاب موجه للولي.

جاء في التحرير والتنوير:(والخطاب الواقع في قوله: ﴿طَلَّقْتُمُ﴾ و﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾ ينبغي أن يحمل على أنه موجه إلى جهة واحدة دون اختلاف التوجه، فيكون موجها إلى جميع المسلمين، لأن كل واحد صالح لأن يقع منه الطلاق، إن كان زوجا، ويقع منه العضل، إن كان وليا، والقرينة ظاهرة على مثله فلا يكاد يخفي في استعمالهم، ولما كان المسند إليه أحد الفعلين، غير المسند إليه الفعل الآخر، إذ لا يكون الطلاق ممن يكون منه العضل، ولا العكس، كان كل فريق يأخذ من الخطاب ما هو به جدير، فالمراد بقوله: ﴿طَلَّقْتُمُ﴾ أوقعتم الطلاق، فهم الأزواج، وبقوله: ﴿فَلا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ النهي عن صدور العضل، وهم أولياء النساء[٦].

أهمية السياق في فهم كتاب الله تعالى: تتجلى أهمية السياق فيما يلي:

١- إن إعمال السياق في معرفة المراد هو من قبيل تفسير القرآن بالقرآن الذي هو أفضل طرق التفسير الأثري، وأصحها ثبوتا، إذ أنه لا أعلم بمراد الكلام إلا المتكلم نفسه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا هذه المرتبة:" فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير ؟، فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن،

فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر"[٧]

٢- عربية القرآن الكريم: فإن العرب لا تفهم الكلام إلا ضمن سياقه، والقرآن الكريم نزل بلغة العرب قال عز وجل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[الشعراء:١٩٢-١٩٥]

٣- مراعاة النبي ﷺ للسياق -وهو خير من فسر القرآن الكريم- لهذا الجانب ومن ذلك حديث عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون٦٠]، قالت عائشة: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال: "لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات"[٨]

فاستدل النبي ﷺ بالسياق اللاحق على خلاف ما ذهبت إليه أم المؤمنين ك.

٤- اعتبار الصحابة لدلالة السياق -وهم خير من فسر القرآن بعد النبي ﷺ- ومن أمثلة ذلك: ما رواه ابن جرير عن عكرمة: أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس م: أعمى البصر أعمى القلب، يزْعُم أن قومًا يخرجون من النار، وقد قال الله جل وعز: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة:٣٧]؟ فقال ابن عباس: ويحك، أقرأ ما فوقها! هذه للكفّار[٩]، يشير بذلك إلى السياق السابق، قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة٣٦]

٥- إجماع العلماء على اعتباره سواء بالتصريح بذلك، أو من خلال إعماله عند تفسيرهم للنصوص فقد اعتنى المفسرون منذ وقت مبكر بالسياق القرآني؛ لما له من أثر فاعل في الكشف عن مراد الله تعالى في كتابه، وكان له حضور بارز إلى جانب

القرائن الأخرى؛ كأسباب النزول، واللغة، والعموم، وربما قُدم على بعضها، أو تحكم بها؛ لتوقف المعنى العام عليه؛ فإنه عند التفاضل بين هذه القواعد؛ لابد من مراعاة السياق دائماً، فهو المقصود بهذه القواعد، حتى يفهم على وجهه.

جعل الشاطبي مراعاة السياق مظهراً من مظاهر الاعتدال في التفسير المفضي إلى الفهم السليم، حين قال: "فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإن فرق النظر في أجزائه؛ فلا يتوصل به إلى مراده، ولا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض"[١٠].

ويقول مسلم بن يسار وهو من تلامذة ابن عباس **م**: "إذا حدثت عن الله، فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده"[١١]

ويقول العز بن عبد السلام: "السياق مرشد إلى تبيين المجملات، وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات، وكل ذلك بعرف الاستعمال؛ فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحا، وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذما، فما كان مدحا بالوضع فوقع في سياق الذم صار ذما واستهزاء وتهكما بعرف الاستعمال"[١٢] مثل قول قوم شعب لشعيب عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود ٨٧.]

فلما قالوها في سياق الإنكار جاءت بمعنى السفيه الجاهل وحاشا له ذلك.

ثالثا:آثار دلالة السياق في التفسير:

كان للسياق أثر واضح في مختلف مجالات التفسير، ويظهر ذلك فيما يلي:

- **اختيار القراءات:** فبعض القرّاء يقع اختياره على حرف من الأحرف المقروء بها بسبب تأييد السياق لذلك الحرف المختار، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة١٤٤] قرئ (يعملون) في الآية بالغيبة والخطاب فممن قرأ بالغيبة: ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، وروح بالخطاب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لأن سياق الآية وهو قوله تعالى: وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ يقتضي الغيبة فيقال:

(يعملون) ولكن التفت إلى الخطاب ليكون الكلام أوقع في النفس ولو ظل السياق على الغيبة لما تحقق هذا المعنى النبيل[١٣].

- **توجيه القراءات:** حيث يعتبر أداة مهمّة في تفسير بعض الأوجه المختلفة فمن ذلك توجيه الخلاف بين قراءة (وما يفعلوا) في قوله عز وجل: ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران١١٥] حيث قرئ متواتراً (وما تفعلوا) و(وما يفعلوا) واختلف في هذه الأخيرة؛ هل الخطاب موجّه إلى أهل الكتاب كلّهم أم إلى أهل الكتاب الذين تبعوا النبي ﷺ؟ يقول محمد حبش: (وأما القراءة بالياء فقد أفادت معنى جديدا؛ وهو أن الله عزّ وجلّ لن يضيع إحسان أهل الكتاب، فيثيب المحسن منهم ويعاقب المسيء... وكذلك فإن السياق ظاهر في هذه الدلالة؛ وهي أن الذين دخلوا في الإسلام منهم هم المعنيون بالخطاب، فبعد أن ذكر سبحانه خبر مؤمني أهل الكتاب في هذه الآية عقّب فورا بذكر كافريهم فقال: ﴿وَما يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّـهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّـهِ شَيْئاً وَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾، وهذا المعنى هو ما اختاره ابن العربي، بل نقل الإجماع عليه فقال: وقد اتّفق المفسّرون أنها نزلت فيمن أسلم من أهل الكتاب، وعليه يدلّ ظاهر القرآن، ومفتتح الكلام نفي المساواة بين من أسلم منهم، ومن بقي منهم على الكفر)[١٤].

- **معرفة الوقف والابتداء:** جاء في كتاب مقدمات في علم القراءات لمحمد القضاة: (ولدراسة الوقف جانبان: أولهما معرفة ما يوقف عليه، وما يبدأ به وهذه قضية يحددها المعنى ويحكم فيها السياق...)[١٥]

- **نقد الآثار والمرويات:** ومن ذلك اختلافهم في معنى قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة٥]، هل هي الأشهر الحرام المعروفة أم هي أشهر الإمهال التي نادى بها علي ﷺ بغمر النبي ﷺ جاء في أضواء البيان ما يلي: (فقال ابن جرير: إنها المذكورة في قوله تعالى. منها أربعة حرم

ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم، قال أبو جعفر الباقر: (ولكن قال ابن جرير: آخر الأشهر الحرم في حقهم المحرم، وحكى نحو قوله هذا علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وإليه ذهب الضحاك ولكن السياق يدل على أن المراد بها أشهر الإمهال المذكورة في قوله: ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾)[١٦]، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: (والذي يظهر من حيث السياق، ما ذهب إليه ابن عباس، في رواية العوفي عنه، وبه قال مجاهد، وعمرو بن شعيب، ومحمد بن إسحاق، وقتادة، والسدي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: أن المراد بها الأشهر الأربعة المنصوص عليها بقوله: فسيحوا في الأرض أربعة أشهر، ثم قال: فإذا انسلخ الأشهر الحرم؛ أي: إذا انقضت الأشهر الأربعة التي حرمنا عليكم قتالهم فيها، وأجلناهم فيها، فحيثما وجدتموهم فاقتلوهم)[١٧]

- **بيان معاني المفردات والعبارات:** قال صاحب أضواء البيان ملخصا قول الإمام ابن تيمية في معنى قوله تعالى: (مُنْفَكِّينَ) في سورة البينة وفي معنى قوله تعالى: لم يكن هؤلاء وهؤلاء منفكين، ثلاثة أقوال ذكرها غير واحد من المفسرين.

- هل المراد: لم يكونوا منفكين عن الكفر؟.

- أو هل لم يكونوا مكذبين بمحمد حتى بعث، فلم يكونوا منفكين من محمد والتصديق بنبوته حتى بعث.

- أو المراد: أنهم لم يكونوا متروكين حتى يرسل إليهم رسول... تبين من ذلك كله أن الأصح في «منفكين» معنى (متروكين) وبه يزول الإشكال... ويستقيم السياق، ويتضح المعنى)[١٨]

- **تحديد المبهمات كعود الضمائر إلى أصحابها:** قال السمين الحلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ [الروم:٥١]: (قوله: (فَرَأَوْهُ)؛ أي فَرَأَوْا النباتَ، لدلالة السياق عليه).

- **ترجيح الآراء التفسيرية والمذاهب الفقهية:** ففي قوله عز وجل: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ

أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة٢٦٦]، روى ابن جرير الطبري عن السدّي في تفسير هذه الآية: (هذا مثل آخر لنفقة الرياء، إنه ينفق ماله يرائي الناس به، فيذهب ماله منه وهو يرائي، فلا يأجره الله فيه. فإذا كان يوم القيامة واحتاجَ إلى نفقته، وجدها قد أحرقها الرياء، فذهبت كما أنفق هذا الرجل على جنته، حتى إذا بلغت وكثر عياله واحتاج إلى جنته جاءت ريح فيها سَموم فأحرقت جنته، فلم يجد منها شيئًا. فكذلك المنفق رياء)[١٩].

وقال مرجّحا قول السدّي: (وإنما دللنا أن الذي هو أولى بتأويل ذلك ما ذكرناه، لأن الله جل ثناؤه تقدَّم إلى عباده المؤمنين بالنهي عن المنّ والأذى في صدقاتهم، ثم ضرب مثلا لمن منَّ وآذى من تصدق عليه بصدقة، فمثَّله بالمرائي من المنافقين المنفقين أموالهم رئاء الناس. وكانت قصة هذه الآية وما قبلها من المثل، نظيرةَ ما ضرب لهم من المثل قبلها، فكان إلحاقُها بنظيرتها أولى من حمل تأويلها على أنه مثلُ ما لم يَجر له ذكر قبلها ولا معها)[٢٠]

قال ابن عطية: (وهذا أبين من الذي رجح الطبري، وليست هذه الآية بمثل آخر لنفقة الرياء، هذا هو مقتضى سياق الكلام. وأما بالمعنى في غير هذا السياق فتشبه حال كل منافق أو كافر عمل عملا وهو يحسب أنه يحسن صنعا فلما جاء إلى وقت الحاجة لم يجد شيئا)[٢١].

وقال القرطبي: (قد روي عن ابن عباس أنه مثل لمن عمل لغير الله من منافق وكافر)[٢٢]

هذا بالإضافة إلى آثار أخرى يحدثها السياق في التفسير ومنها:

- **نقد الأقوال المتعلقة بالناسخ والمنسوخ.**
- **نقد أسباب النزول.**

- **نقد المرويات الإسرائيلية.**

- **نقد بعض الآراء التفسيرية الحديثة:** ويدخل في ذلك الآراء الحداثية، وكذلك ما يُصطلح عليه حديثا بالتفسير العلمي، ومباحث الإعجاز العلمي التي سنتطرق إلى بعضها في هذا المبحث الموالي كدراسة تطبيقية.

المبحث الثاني:

نماذج من التفسير العلمي ونقدها في ضوء السياق:

أولا: حقيقة تحدث القرآن عن صعود الإنسان للفضاء.

قوله عز وجل: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]

لقد أثبت البحث التجريبي حقيقة علمية متعلقة بالصعود إلى الفضاء؛ مفادها أن الإنسان إذا صعد متدرجا إلى الفضاء فإن قدرته على التنفس تتضاءل شيئا فشيئا، وذلك ناتج عن انخفاض الضغط الجزئي للأكسجين في طبقات الجو العلوية كلما ابتعد عن سطح الأرض، فذهب أصحاب الإعجاز العلمي إلى تفسير هذه الظاهرة للحرج الذي يصيب الكافر بسبب عدم قدرته على الإيمان، فجعلوا التشبيه في قوله تعالى:" كأنما يصَّعَّد في السماء" عائدا على الضيق والحرج فكان المعنى: إن حال الكافر المعرض عن الله في ضيقه كحال ضيق الذي يصعد في السماء، بينما إذا أخضعنا هذه الرؤية التفسيرية للسياق، فإنّا نجدها غير متوافقة معه، ففي السياق السابق للآية يقول عز وجل: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ١٢٣ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ

نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ﴾ [الأنعام ١٢٢-١٢٤]

أقوال المفسرين في الآية:

قال ابن جرير: (القول في تأويل قوله: "كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ "وهذا مثل من الله تعالى ذكره، ضربه لقلب هذا الكافر في شدة تضييقه إياه عن وصوله إليه، مثل امتناعه من الصُّعود إلى السماء وعجزه عنه، لأن ذلك ليس في وسعه، وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل، حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن عطاء الخراساني:(كأنما يصعد في السماء)، يقول: مثله كمثل الذي لا يستطيع أن يصعد في السماء، حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن معمر، عن عطاء الخراساني، مثله.

وبه قال، أخبرنا ابن المبارك، عن ابن جريج قراءةً:"يجعل صدره ضيقًا حرجًا"، بلا إله إلا الله، حتى لا تستطيع أن تدخله، "كأنما يصعد في السماء"، من شدّة ذلك عليه.حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، مثله.حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي:(كأنما يصعد في السماء)، من ضيق صدره)[٢٣].

وقال ابن عطية: وقوله تعالى: " كأنما يصعد في السماء " أي كأن هذا الضيق الصدر يحاول الصعود في السماء حتى الإيمان أو فكر فيه ويجد صعوبته عليه كصعوبة الصعود في السماء[٢٤].

وعند القرطبي: قَوْلُهُ تَعَالَى: (كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ) قَرَأَهُ ابْنُ كَثِيرٍ بِإِسْكَانِ الصَّادِ مُخَفَّفًا، مِنَ الصعود هو الطُّلُوعُ. شَبَّهَ اللَّهُ الْكَافِرَ فِي نُفُورِهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَثِقَلِهِ عَلَيْهِ بِمَنْزِلَةِ مَنْ تَكَلَّفَ مَا لَا يُطِيقُهُ، كَمَا أَنَّ صُعُودَ السَّمَاءِ لَا يُطَاقُ. وَكَذَلِكَ يَصَّاعَدُ وَأَصْلُهُ يَتَصَاعَدُ، أُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الصَّادِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ أَبِي، بَكْرٍ وَالنَّخَعِيِّ، إلا أن فيه معنى فعل شي بعد شي، وَذَلِكَ أَثْقَلُ عَلَى فَاعِلِهِ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالتَّشْدِيدِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ، وَهُوَ كَالَّذِي قَبْلَهُ. مَعْنَاهُ يتكلف ما لا يطيق شيئا بعد شيء[٢٥].

فتفسير القدامى يجتمع على عود التشبيه إلى محاولة الصعود وعدم القدرة على ذلك، لا إلى الضيق والحرج، فهو عندهم تشبيه صوري لا تشبيها عاديا وتفسيرهم يرجع إلى لازم معنى الجملة الثانية، وهي جعل الضيق والحرج في صدر الكافر، إذ من لازمه أنه لو أراد الإيمان فإنه لا يستطيعه، كما لا يستطيع الإنسان الصعود للسماء، فنبهوا على هذا اللازم الذي قد يخفى على كثير ممن يقرأ الآية، فسياق الآية يشير إلى أن هذا مثل ضربه الله عز وجل وهو في تقدير السلف أن عدم قدرة الكافر على الاهتداء كعدم قدرة الإنسان على الصعود إلى السماء.

هذا مع أننا لا ننفي بالجملة مذهب المتأخرين، وذلك لكون أن الآية تحتمله، ولكن الذي أردت الإشارة إليه أن سياق الآية – إن احتكمنا إليه– فإنه يكون مقويا لما ذهب إليه المتقدمون؛ فيكون بذلك تحليلهم للتشبيه أقوى من تحليل المتأخرين ويبقى استنباطهم مقبولا على سبيل التنوع في المعنى المحتمل.

ثانياً: حقيقة دوران الأرض وإثبات القرآن الكريم لها.

قوله عز وجل: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل:٨٨]

ذهب بعض من تبنى الإعجاز العلمي إلى أن الآية تدل على حركة الأرض ودورانها في سرعة فائقة حول نفسها، وكذلك دورتها السنوية حول الأرض.

يقول د. السيد الجميلي: (تدور الجبال بسرعة فائقة غير مرئية، ولكن الناظر إليها يراها راسخة ثابتة مستقرة على غير الواقع...وهي تدور مع الأرض لأنها تشكل جزء هاما غير مهمل متصل بالأرض اتصالا وثيقا، ومن غير المعقول أن تدور الأرض ولاتدور معها الجبال الراسخات)[٢٦]، ثم استدل بقوله عز وجل: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل:٨٨]

نرجع الآن إلى السياق لبيان حقيقة الأمر، يقول عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي

ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل ٨٨٨٧]

فنلاحظ أن سياق الآية السابق يتحدث عن اليوم الآخر وأهواله وما يقع فيه من أحداث والتي بدايتها النفخ في الصور،ثم فزع الناس بعدها، ثم ما يحدث للعوالم يومها والتي من بينها الجبال التي يطرأ عليها التغيير.

قال ابن كثير: وقوله: " وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ "أي: تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه، وهي تمر مر السحاب، أي: تزول عن أماكنها، كما قال تعالى:﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور: ٩، ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ [الكهف: ٤٧].[٢٧]

جاء في أضواء البيان زَعَمَ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْجِبَالَ الْآنَ فِي دَارِ الدُّنْيَا يَحْسَبُهَا رَائِيهَا جَامِدَةً، أَيْ: وَاقِفَةً سَاكِنَةً غَيْرَ مُتَحَرِّكَةٍ، وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، وَنَحْوُهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ يَصِفُ جَيْشًا:

بِأَرْعَنَ مِثْلِ الطَّوْدِ تَحْسَبُ أَنَّهُمْ ... وُقُوفٌ لِحَاجٍّ وَالرِّكَابُ تُهَمْلِجُ

وَالنَّوْعَانِ الْمَذْكُورَانِ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَيَانِ، يُبَيِّنَانِ عَدَمَ صِحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ.

أَمَّا **الْأَوَّلُ** مِنْهُمَا: وَهُوَ وُجُودُ الْقَرِينَةِ الدَّالَّةِ عَلَى عَدَمِ صِحَّتِهِ، فَهُوَ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: وَتَرَى الْجِبَالَ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: فَفَزِعَ، وَذَلِكَ الْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ مُرَتَّبٌ بِالْفَاءِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾، أَيْ: وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَفْزَعُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَتَرَى الْجِبَالَ، فَدَلَّتْ هَذِهِ الْقَرِينَةُ الْقُرْآنِيَّةُ الْوَاضِحَةُ عَلَى أَنَّ مَرَّ الْجِبَالِ مَرَّ السَّحَابِ كَائِنٌ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، لَا الْآنَ.

وَأَمَّا **الثَّانِي**: وَهُوَ كَوْنُ هَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْغَالِبُ فِي الْقُرْآنِ فَوَاضِحٌ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ الْآيَاتِ الَّتِي فِيهَا حَرَكَةُ الْجِبَالِ كُلُّهَا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور.١٠]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف ٤٧]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ .٢٠]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير. ٣].[٢٨]

فلاحظنا أن سياق الآية جاء مخالفا لما ذهب إليه أصحاب الإعجاز العلمي.

ثالثاً: حقيقة تنبؤ القرآن بالمركبات الفضائية.

قوله عز وجل: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٍ﴾ [الرحمن ٣٣]

يزعم بعض المتحمسين لبيان أوجه الإعجاز العلمي أن الآية الكريمة تشير إلى وصول الإنسان إلى الفضاء، وذلك أن السلطان المذكور في الآية هو العلم التجريبي الذي كان من نتائجه هذه الصواريخ والمركبات الفضائية، إلا أن السياق السابق واللاحق للآية يثبت عكس هذا الادعاء وذلك من وجهين:

أولا: إن سياقي الآية يتحدث عن يوم القيامة حين يجمع الله الخلائق، فلا يستطيع أحد الفرار يومئذ، فقوله عز وجل "فانفذوا" فعل أمر يفيد التعجيز.

ثانيا: إن الخطاب موجه للجن والإنس معا، ومعلوم من آيات أخر أن الجن استطاعت النفاذ إلى الفضاء من قبل، بدليل قوله عز وجل: ﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسًا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٨-٩]. فلو كانت الآية تفيد ذلك الزعم لكان الخطاب موجها إلى فريق الإنس فقط.

رابعا: حقيقة إشارة القرآن الكريم لوسائل النقل الحديثة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ﴾ [التكوير ٤]

يقول أبو حيان عند تفسيره للآية: (وذلك في أول هول يوم القيامة. والعشار:

أنفس ما عند العرب من المال، وتعطيلها: تركها مسيبة مهملة، أو عن الحلب لاشتغالهم بأنفسهم، أو عن أن يحمل عنها الفحول وأطلق عليها عشارا باعتبار ما سبق لها ذلك. قال القرطبي: وهذا على وجه المثل، لأنه في القيامة لا يكون عشراء، فالمعنى: أنه لو كان عشراء لعطلها أهلها واشتغلوا بأنفسهم. وقيل: إذا قاموا من القبور شاهدوا الوحوش والدواب محشورة وعشارهم فيها التي كانت كرائم أموالهم، لم يعبأوا بها لشغلهم بأنفسهم. وقيل: العشار: السحاب، وتعطيلها من الماء فلا تمطر. والعرب تسمي السحاب بالحامل. وقيل: العشار: الديار تعطل فلا تسكن. وقيل: العشار: الأرض التي يعشر زرعها، تعطل فلا تزرع)[٢٩].

يقول الدكتور السيد الجميلي مبينا ما في هذه البية من إعجاز علمي:(وهذه الآية الكريمة أشارت إشارة بعيدة إلى المستقبل البعيد الذي كان في عصر تنزيل القرآن عصرا بعيد اللحوق به قال تعالى: ﴿وإذا العشار عطلت﴾ [التكوير:٤] ومعنى الآية ان يوما سيأتي تتعطل فيه العشار، ويستغنى عنها بالطائرات، والسيارات، والمستحدثات العصرية، وغيرها من وسائل المواصلات[٣٠]، لكن السياق السابق واللاحق للآية، وكذلك السياق العام للسورة يدل على بطلان هذا الزعم، يقول الإمام محمد علي الصابوني عن السورة:(سورة التكوير من السور المكية، وهي تعالج حقيقتين هامتين هما: (حقيقة القيامة) وحقيقة (الوحي والرسالة) وكلاهما من لوازم الإيمان وأركانه.

ابتدأت السورة الكريمة ببيان القيامة، وما يصاحبها من انقلاب كوني هائل، يشمل الشمس والنجوم، والجبال، والبحار، والأرض، والسماء، والأنعام، والوحوش، كما يشمل البشر ويهز الكون هزا عنيفا طويلا، ينتثر فيه كل ما في الوجود، ولا يبقى شيء إلا قد تبدل وتغير من هول ما يحدث في ذلك اليوم الرهيب)[٣١]، فالسياق البعدي والقبلي للآية يتحدث عن الأمور التي تحدث يوم القيامة وما يطرأ على تلك العوالم من التغير المفاجيء والعشار من تلك العوالم التي يطالها أمر الله إذا جاء –نسأل الله العافية– أما المعنى الذي يراه أنصار الإعجاز العلمي فيبدو بعيدا.

الخاتمة:

وفي الختام لا يسعني بعد هذه الإطلالة السريعة على الموضوع إلا أن أقدم حصيلة هذا البحث مشيرا إلى أهم النتائج المتوصل إلى وهي كما يلي:

- إن الإعجاز العلمي ومباحثه لا تخرج عن كونها اجتهادات تفسيرية، ينبغي للخائض فيه أن يكون ذا دراية بأصول التفسير وقواعده المتعارف عليها، وإن السياق القرآني من أهم هذه الآليات التي لا ينبغي أن يهملها كل من أراد الخوض في كتاب الله عز وجل، فتفسير النصوص في منأىً عن السياق له من الخطورة بما كان مما يؤدي بالمستنبط إلى ليّ عنق الآية للوصول إلى المراد الشخصي.

- السياق القرآني أداة بالغة الأهمية، يرجع إليها لتنقيح الآراء التفسيرية -خاصة المتعلقة بالإعجاز العلمي- ونقدها وتمحيصها لمعرفة السقيم من الصحيح.

- السياق القرآني أداة لترجيح الآراء التفسيرية، كما لوحظ ذلك جليا عند المقارنة بين مذهب السلف ومذهب المتأخرين في معرفة المراد من قوله عز وجل "كأنما يصّعّد في السماء".

وربما في الأخير تذكرنا هذه النتائج بضرورة وجود مشروع علمي مكتمل يقوم فيه صاحبه ممن أوتي ملكة النقد التفسيري؛ يقوم هذا المشروع بتنقيح الآراء التفسيرية خاصّة المعاصرة منها وتمحيصها، وذلك باستعمال أدوات التحقيق والتمحيص والتي يكون السياق القرآني من أهم أعمدتها.

هذا وأسال الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في هذه المقالة المتواضعة، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث:

[١]) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد مرتضى الزَّبيدي، تح:مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج٢٥/٤٧٥، مادة: س و ق.

[٢]) الصحاح في اللغة، إسماعيل بن حماد الجوهري الفرابي، تح:أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٩٠م، ج٤/١٤٩٩، مادة: س و ق.

[٣]) نظرية السياق دراسة تأصيلية دلالية نقدية، المثنى عبد الفتاح محمود، دار وائل، الأردن، ٢٠٠٨م، ص:١٥.

[٤]) دلالة السياق في تفسير أضواء البيان للعلامة الشنقيطي دراسة موضوعية تحليلية، رسالة ماجستير، أحمد لافي فلاح، إشراف د. مصطفى إبراهيم المشني، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧، ص:١٤.

[٥]) الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تح: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤ م، ص:٤٤٤.

[٦]) التحرير والتنوير، الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط:١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج٢/٤٠٦.

[٧]) شرح (مقدمة التفسير) لابن تيمية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دارالوطن، الرياض، الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م، ص:١٢٧.

[٨]) الحديث رواه الترمذي، وصححه الألباني، انظر: الجامع الصحيح سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، رقم :٣١٧٥، ج٥/٣٢٧.

[٩]) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ج١٠/٢٩٤.

[١٠]) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تح: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط:١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.ج٤/٢٦٦.

[١١]) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، إبراهيم بن عمر البقاعي، مكتبة المعارف – الرياض، ط:١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م، ج١/١٥٤.

[١٢]) الإمام في بيان أدلة الأحكام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم، تح: رضوان مختار بن غربية، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط:١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ص:١٥٩.

[١٣]) القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد محمد سالم محيسن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط:١، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م، ٢/٩٨.

[١٤]) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، محمد حبش، دار الفكر – دمشق، ط:١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م، ص:١٧٣، ١٧٤.

[١٥]) مقدمات في علم القراءات، محمد أحمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكرى، محمد خالد منصور، دار عمار، عمان، الأردن، ط:١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م، ص:١٣٥.

[١٦]) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، ٢/١١٥.

[١٧]) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م، ٤/١١١.

[١٨]) أضواء البيان، ٩/٤٣.

[١٩]) جامع البيان، الطبري، ٤/٦٨١

[٢٠]) جامع البيان، الطبري، ٤/٦٨٤.

[٢١]) المحرر الوجيز، ابن عطية، ٣٦٠/١.
[٢٢]) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣١٨/٣.
[٢٣]) جامع البيان، بن جرير الطبري، ج١٠٩/١٢
[٢٤]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:١ – ١٤٢٢ هـ، ج٣٤٣/٢.
[٢٥]) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تح : سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م، ج٨٢/٧.
[٢٦]) الإعجاز العلمي في القرآن، د. السيد الجميلي، مكتبة الهلال، بيروت، ط:٢، ١٩٩٢، ص:٧٣.
[٢٧]) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط:٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م، ج٢١٧/٦.
[٢٨]) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ، ج١٤٤/٦.
[٢٩]) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ، ج٤١٢/١٠.
[٣٠]) الإعجاز العلمي في القرآن، د. السيد الجميلي، ص:٣٧.
[٣١]) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١م، ج٤٩٨/٣.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ.
٢. الإعجاز العلمي في القرآن، د. السيد الجميلي، مكتبة الهلال، بيروت، ط:٢، ١٩٩٢.
٣. الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تح: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤ م.
٤. الإمام في بيان أدلة الأحكام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم، تح: رضوان مختار بن غربية، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط:١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
٥. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.
٦. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد مرتضى الزَّبيدي، تح:مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٧. التحرير والتنوير، الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط:١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٨. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
٩. جامع البيان عن تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تح: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط:١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
١٠. الجامع الصحيح سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١١. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تح: سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م، ج٨٢/٧.
١٢. دلالة السياق في تفسير أضواء البيان للعلامة الشنقيطي دراسة موضوعية تحليلية، رسالة ماجستير، أحمد لافي فلاح، إشراف د. مصطفى إبراهيم المشني، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧.
١٣. شرح (مقدمة التفسير) لابن تيمية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دارالوطن، الرياض، الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
١٤. الصحاح في اللغة، إسماعيل بن حماد الجوهري الفرابي، تح:أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٩٠م.
١٥. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١م.
١٦. القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، محمد حبش، دار الفكر - دمشق، ط:١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
١٧. القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد محمد محمد سالم محيسن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط:١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
١٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط:١ - ١٤٢٢ هـ، ج٣٤٣/٢.
١٩. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، إبراهيم بن عمر البقاعي، مكتبة المعارف - الرياض، ط:١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
٢٠. مقدمات في علم القراءات، محمد أحمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكرى، محمد خالد منصور، دار عمار، عمان، الأردن، ط:١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٢١. الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تح: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط:١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٢٢. نظرية السياق دراسة تأصيلية دلالية نقدية، المثنى عبد الفتاح محمود، دار وائل، الأردن، ٢٠٠٨م.